سمو ولي العهد .. والخطاب العربي

في الحديث الشامل والضافي الذي بثته وكالة الأنباء السعودية في يوم الخميس الموافق ١٧ شعبان ١٤٢٠هـ لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الكثير من النقاط والأفكار والرؤى التي تطرق إليها، وتستثير الكثير من التوقف ـ من المختصين والمتابعين للدراسة والتحليل، بما تمثله من تأكيد على منهج متميز وجديد، ورؤية واضحة جلية تؤسس مع ما سبقها من آراء وأفكار طرحها سموه في خطاباته وأحاديثه ومقابلاته، تؤسس لخطاب سياسي جديد في عالمنا العربي، تعتمد على المواجهة والواقعية والوضوح، وعلى الثقة والتوازن والتفاعل مع هموم الناس بكل مصداقية وإحساس عميق.. كذلك يعتمد هذا الخطاب على العقلانية والعمل المؤسسي القائم على التخطيط والتنظيم وبعد النظر، وليس على الحلول المؤقتة، أو المسكنة التي قد تتسبب في تراكم المشكلات وتعاظمها.. ومن ثم تضاؤل امكانية حلها.

فالعفوية والمصداقية التي يتحدث بها سموه.. سواء في زياراته للعديد من الأقطار، أو في جولاته في مختلف مناطق المملكة.. أو أحاديثه في المناسبات المتعددة.. كلها تؤكد ما عرف عن سموه من رؤية شاملة ومستقبلية واضحة المعالم، وليست مجرد انفعالات مع أحداث آنية محددة، أو ردود أفعال سرعان ما تخبو مع إنتهاء جذوة الحدث، بل إن هذه الرؤية هي التي تحدد موقف سموه من الحدث على أي مستوى كانت درجة أهميته أو خطورته، ومهما كانت درجة حرارته ومستوى انفعال الآخرين معه، لأن لسموه نظرته الخاصة للأمور، وهي ما تتماهى مع رؤيته وفلسفته للأحداث.

وهذا الخطاب بهذه الأسس والملامح ينطبق على رؤية سموه في شتى المجالات وعلى مختلف المستويات، في المجال السياسي، والاقتصادي، والعسكري، والتنموي، وفي مجال الخدمات وتنمية القوى العاملة الوطنية.. وغير ذلك من المجالات.

كذلك على المستوى الوطني، والمحلي والخليجي، والعربي والإسلامي، وعلى المستوى الدولي، وفي التعامل مع المتغيرات الإقليمية والدولية.

ومما لاشك فيه، فإن هذا الخطاب المعتمد على هذه الرؤية وعلى هذه الروية.. وهذا المنهج المتميز في التعامل مع الأحداث والمستجدات، من المهم بل من الواجب على المحللين والسياسيين دراسته وإبرازه، باعتباره خطاباً حضارياً جديداً في عالمنا العربي

يكتبه : رئيس التحرير

.. قد يكون بداية لحقبة جديدة للفكر السياسي العربي ،فيتجه هذا الخطاب نحو الواقعية والعقلانية والبعد عن الشخصانية والهلامية، التي أضاعت الشعوب العربية لفترة تزيد عن نصف قرن، وأفقدتها الثقة بقادتها وزعاماتها، وبقدراتها ومستقبلها، وجعلت المصالح الوقتية مقدمة على المصالح الوطنية والقومية، واستنزفت طاقات التحدي العربي والإسلامي، ووظفتها بشكل استغلالي وانتهازي في قضايا وصراعات وايديولوجيات ماأنزل الله بها من سلطان. كذلك في رعاية آلاف الدكاكين المتخصصة في بيع الوعود وفي تسويق البطولات الوهمية. كما اعتمدت على الدعاية وعلى اغتصاب عقول الجماهير والرأي العام المتحفز عن طريق وسائل الإعلام، بأسلوب استهلاكي وقتي، وجعلت الشعوب حقول تجارب، الأمر الذي جعل هذه الزعامة أو تلك تجرب في حياتهاوهي في سدة الحكم أكثر من منهج، وتستخدم أكثر من خطاب، بحيث تخضع مصالح هذه الشعوب للمرحلة العمرية، وحالة النضج التي تمر بها هذه القيادة أو تلك، وكل ما يعتريها من متغيرات وانتماءات وطموحات.

ولكن الخطاب السياسي للمملكة على مدى أكثر من ثلاثة أرباع القرن، أي منذ عام ١٩٣٢م وحتى الآن، وهو يتسم بالثبات والتطور الطبيعي ،والبعد التام عن المزايدة ومجرد تسجيل المواقف.

كما أنه يعتمد على أسس ثابتة ومبادئ أساسية، لاتتأثر بأية متغيرات طارئة وزائلة.. ومما لاشك فيه أن أهم هذه المبادئ هي: التمسك بالشريعة الإسلامية، وجعلها نبراساً وهديالكل نهج أو موقف.

إن خطاب المملكة طوال هذه الفترة كان بعيداً عن الفردية وعن ردود الفعل، وعن خطاب الزعيم الأوحد، بل إن كل لبنة في هذه الخطاب طوال تأريخ الممارسة السياسية للمملكة،كانت تضيف إلى ماقبلها ، وهذا ماحدث مع توالى القيادات في المملكة ، حيث شكلت تراثا زاخرا من الخبرة أسهمت بشكل كبير في صياغة هذا الخطاب بكل أبعاده وملامحه، منذ القائد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وحتى خادم الحرمين الشريفين أطال الله في عمره ،ومروراً بأصحاب الجلالة الملوك: سعود وفيصل وخالد، - رحمهم الله - كانوا جميعاً بعيدين عن الإدعاء، وعن مجرد إنشاء الخطابات الإستهلاكية والوعود الوهمية.

لذا يمكن أن نقول :إن الخطاب السياسي والإعلامي للمملكة جاد في مضمونه ،عقلاني وموضوعي في توجهه، ولم يخضع لردود الفعل الحادة التي إعترت العالم العربي في مراحله المختلفة.

والخطاب الذي يطرحه سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. هو في حقيقته إمتداد للخطاب السعودي بشكل عام.. يحمل الروح نفسها.. والمقومات والمرتكزات التي قامت عليها السياسة السعودية الهادئة والواثقة..

إلا أن سموه قد جسد بشكل - أكثر جلاء - خطاباً له خصوصيته، وله شخصيته المتميزة التي تؤسس لتحول نوعي لخطاب عربي جديد في مختلف القضايا الآنية والمستقبلية، وهو بذلك يمثل نقلة نوعية في هذا الإتجاه..

والحقيقة أن هذا خيار ضروري في عصر العولمة والشفافية.. وفي نظام عالمي جديد، لا مجال فيه للسياسات الهلامية وغير الواضحة محدداتها وأهدافها .

إن من يقرأ حديث سمو ولي العهد لوكالة الأنباء السعودية.. وكذلك أحاديثه الأخرى وخطاباته في أكثر من مناسبة.. لابد أنه سيتوقف كثيراً عند هذاالكم من المعاني والأبعاد والرؤى التي تبين ما يطرحه سموه في خطابه، وما يتميز به من ملامح ومنطلقات، هي في حقيقتها انعكاس لشخصية سموه الواثقة والواضحة والصادقة ، وهي نتاج لفكره وتطلعاته..

ومسؤولية دراسة هذا الخطاب القائم على هذا المنهج، ووفق هذه الرؤية، تقع بالدرجة الأولى على الأكاديميين من أساتذة العلوم السياسية وأساتذة الاقتصاد، وعلى المتخصصين في الاستراتيجيا، الذين يملكون المعلومات والقدرة التحليلية لمسيرة الفكر السياسي العربي منذ الأربعينيات ، وحتى هذه الحقبة التي يتهيأ فيها عالمنا العربي والإسلامي لدخول قرن جديد.. وبمعطيات تشمل كافة المجالات.